فعل الكلام المركب
في وصايا الحكماء الى العلماء
في كتاب جمهرة وصايا العرب

د. كفايــة مذكــور

العراق/ جامعة البصرة/كلية الآداب

قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني: drKifaia@gmall.com

الاستلام	٢٠٢٠/١/٥	المراجعة	٢٠٢٠/٢/٢٠	النشر	٢٠٢٠/٤/٣٠

الملخص:

يمثل فعل الكلام المركب وهو ما نتج عن فعلين بسيطين أو أكثر من معنى شريطة ألا تمثل هذه الأفعال نصا نقطة تحول جديدة أضفت على هذا الميدان قدرة أكبر على أداء المعاني في العملية التواصلية ما عُدَّ تطورا ونضجا في أفعال الكلام. وقد التزم البحث بتحليل نص تراثي للكشف عن المعاني الحقيقية الكامنة فيه والوقوف عليها بغية الانتفاع بها، ولإظهار المقدرة اللغوية في العملية التواصلية القائمة في النصوص المدروسة.

وقد انتظم البحث في مدخل وثلاثة مباحث، تناول أولها أفعال الكلام المركبة من أفعال مباشرة فقط، في حين تناول الثاني أفعال الكلام المركبة من أفعال غير مباشرة، أما الثالث فقد اختصَّ بالأفعال المركبة التي اشترك في تكوينها أفعال مباشرة وأخرى غير مباشرة.

الكلمات المفتاحية:

فعل الكلام المركب، كتاب"جمهرة وصايا العرب".

Compound speech act in the exhortations of scholars to kings in the book Jamharat Wasaya Al Arab "Popular Exhortations of of Arabs"

Dr. Kifaya Madhkoor

Department of Arabic Language

Faculty of Arts - Basra University

Iraq

Email: drKifaia@gmall.com

Received	5/1/2020	Revised	20/2/2020	Published	30/4/2020

Abstract:

The meaning given by a compound speech act of two or more simple verbs but not making a text by itself is a new turning point which has bestowed this field more capacity of expressing meanings in the communication process. This is considered a development and maturation in speech acts. The present research work is concerned with analysing a text from the Arabic linguistic heritage to display the real intrinsic meanings in the text and figure them out in order to make use of them and demonstrate the linguistic capacity of the communication process involved in the studied text.

This research consists of an introduction and three chapters. The first chapter deals with ditect compound speech acts only, the second chapter analyses indirect compound speech acts, whereas the third chapter concerns itself with direct and indirect compound speech acts.

Key words:

Compound speech act, Jamharat Wasaya Al Arab, Popular Exhortations of of Arabs.

تعد أفعال الكلام حقلا معرفيا من حقول التداولية، انبثقت من رحم الفلسفة التحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية على يد فيلسوف اللغة جون أوستن، الذي مثلت جهوده مرحلة تأسيسية لم تكتمل فيها معالم النظرية، ولم تأخذ شكلها الدقيق، وتم هذا الأمر على يد الفيلسوف جون سيرل، الذي عدت أفكاره وتنظيراته مرحلة نضج وضبط واكتمال في النظرية عرفت بها أفعال الكلام نظرية مكتملة البناء واضحة المعالم استطاعت أن تفرض وجودها في الدراسات اللغوية والأدبية؛ لما تتمتع به من عناصر تصب في خدمة العملية التواصلية. قد عدَّ سيرل الفعل الإنجازي ((أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي الإنساني))[١]، وأضاف سيرل قسما رابعا على الأقسام الثلاثة التي قسمها أوستين فعل القول، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، وهو الفعل القضوي المتمثل بقضية يدور حولها المعنى.

وقد استبدل سيرل تقسيم أستاذه أوستين لأفعال الكلام بتقسيم آخر رآه أكثر دقة من تقسيم أستاذه أفعال، وهي خمسة أصناف:

١- الإثباتية: هي ((التعهد للمستمع بحقيقة الخبر. فهي ان تقدم الخبر بوصفه تمثيل لحالة موجودة في العالم))[٢].

٢- التوجيهية directives: ((هي محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائماً مع المحتوى الخبري للتوجيه))[٣].

٣- الإلزامية Commissives: هي ((تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل الممثل في المحتوى الخبري))[٤].

٤- التعبيرية Expressives: ((هي التعبير عن شرط الصدق في الفعل الكلامي))[٥].

٥- التصريحات: ((هي إحداث تغيير في العالم بتمثيله وكأنه قد تغير. فتخلق الأفعال الادائية، وكذلك التصريحات الأخرى، حالة فقط من خلال تمثيله وكأنه قد تغير))[٦].

ميز سيرل بين نوعين من أفعال الكلام مباشرة وغير مباشرة فقد عدَّ الأفعال التي يطابق فيها القصد اللفظ بصورة تامة أفعالاً مباشرة، أمَّا الأفعال التي لا يطابق فيها القصد اللفظ مطابقة تامة، وتحتاج إلى التأويل والتبيين للوصول إلى معناها، أو الأفعال التي ينجزها المتكلم بطريقة غير مباشرة عبر إنجازاخرى مباشرة، فهي أفعال غير مباشرة، وتتمتع هذه الأفعال.

على الرغم مما شهدته أفعال الكلام من نضج واكتمال على يد مؤسسها جون أوستين وتلميذه جون سيرل إلأ أنها ظلت تدور في فلك فعل الكلام المفرد أوما يسمّيه فان دايك فعل الكلام البسيط الذي هو حال إنجازية واحدة، عادّاً إياه (أصغر وحدة مكتملة في الاتصال الإنساني)[٧] ولم تتخطَ في تنظيراتها هذا الحد حتى جاء فان دايك الذي شهدت أفعال الكلام على يده تحوّلاً كبيراً تمثل بتوظيف البنى الكبرى أو ما سمّاه فعل الكلام المركب، وفعل الكلام الكلي ما جعل فعل الكلام ينطلق إلى مديات أرحب في التعبير عن المعاني وتأدية الأفكار.

حاول فان دايك جاهدا أن يوجد تنظيرات تتصف بالدقة والكمال لأفكاره في ميدان أفعال الكلام فقسم أفعال الكلام ثلاثة أقسام، هي الفعل البسيط، والفعل المركب، والفعل الكلي، وحاول أن يضع ملامح لكل فعل منها تميزه من غيره من الأفعال، فعرَّف الفعل البسيط بأنه حال إنجازية واحدة، في حين لم يحظ الفعلان المركب والكلي بتعريف دقيق لكل منهما يعين على التمييز بينهما، واكتفى فان دايك بعقد مقابلة بينهما ذكر فيها بعض الفروقات التي رأى فيها توضيحاً لماهية كل من هذين الفعلين بغية التمييز بينهما، فقد بيَّن أنَّ الفعلين كلاهما يتركب من مجموعة من أفعال الكلام تؤدي بضمِّها إلى بعضها فعلاً إنجازيا واحداً، هو نتيجة مشاركتها جميعاً، كلٌّ بحسب دوره سواءً أكان فعلاً رئيساً أم مساعداً، وأنَّ الفعل المركب يكون قد خُطط لنتيجته مسبقا، في حين يفتقر الفعل الكلي إلى التخطيط والذي الحظه

من استقراء جملة من الأفعال المركبة والكلية أنَّ نقطتين جوهريتين يمتاز بهما الفعل الكلي عن الفعل المركب،هما:

أولا- إنَّ الفعل الكلي يجب أن يتصف بأنه نص، في حين أنَّ الفعل المركب هو جزء من النص ولا يمكن اتصافه بهذه الصفة.

ثانيا- إنَّ الفعل الكلي قد يكون فعلا بسيطا واحدا أو أكثر، وقد يكون مزيجا من أفعال بسيطة وأخرى مركبة، أو يتألف من أفعال مركبة فقط، في حين أنَّ الفعل المركب يقتصر في تكوينه على فعلين بسيطين أو أكثر.

تكلم فان دايك عن فعل الكلام المركب بقوله: ((وكل فعل مركب مما تكون بعض أجزائه أفعالاً مساعدة يسمى بالفعل المعقد))[٨] يستفاد من هذا الكلام أنَّ فان دايك في صدد تقسيم الفعل المركب على قسمين معقد اشار إليه في هذا النص وبين ملامحه، وآخر لم يذكره أوبين شيئاً من ملامحه لكننا نستطيع ان نستشفَّ من كلامه أن نوعاً آخر للفعل المركب غير معقد تكون جميع أفعاله بمستوى واحد أي أنه يخلو من الأفعال المساعدة فأفعاله جميعها رئيسة.

إنَّ التشابه الكبير بين بنية الفعل المركب والفعل الكلي تجعل من آليات وخطوات تحليل كلٍّ منهما متشابهة إلى حدٍّ ما، فيجب في كلا الفعلين تعيين الأفعال المكونة وبيان معنى كل منها، ويستلزم أيضا تحديد الفعل المحوري في كل منهما وبيان القوة الإنجازية فيه، وكذلك الحال بالنسبة للأفعال المساعدة، ومن ثمَّ الربط بين ما تحققه الأفعال من دلالة وما يشير إليه السياق من معطيات تعين على الإبانة عن المقاصد الكامنة في الفعل مركبا كان أم كليا.

وسنعرض فيما يأتي لتحليل طائفة من وصايا الحكماء الى الملوك مراعين في انتقائها تسلسلها الزمني ومدى مطابقتها لأغراض البحث.

فعل الكلام المركب من أفعال مباشرة:

تمَّ في هذا المبحث تحليل أفعال كلام مركبة من أفعال كلام مباشرة فقط، لبيان المعاني الحقيقية التي أدتها هذه الأفعال بناء على معطيات نظرية أفعال الكلام.

من وصية حكيم لملكٍ، قال: ((وَلا تَسْتَنْصِحْ غَاشّاً، وَلا تَسْتَغِشَّ ناصحاً، فَرُبَّما غَشَّ العاقلُ إذا وُتِرَ، أو حُرِمَ أوكان ضعيفَ الوَدْعِ))[٩].

بين أيدينا فعل مركب من ثلاثة ملفوظات تراوحت صياغاتها بين طلبية وتصويرية حمل كلٌّ منها فعلاً إنجازيا توجيهياً مباشراً بحكم مطابقة ألفاظ كلّ منها لدلالته مطابقة تامة، وكان الأول والثاني منها (**وَلا تَسْتَنْصِحْ غَاشّاً، وَلا تستغشَّ ناصحاً**) توجيهيان نُهي المخاطَب فيهما عن طلب النصيحة ممن كان الغشُّ صفته، واتهام من أخلص في نصيحته بالغش، علل الفعل بعدها سبب هذا النهي بأنَّ العاقل قد يغش إذا وُتِرَ، أوحُرِمَ، أو كان ضعيف الودع.

أمَّا الأفعال القضوية للأفعال الثلاثة، فهي النهي عن طلب النصيحة ممن اتصف بالغشّ، والنهي عن اتهام الناصح المخلص بالغش، قد يغش العاقل إذا وتر أو حرم أو كان ضعيف الودع.

كونت الأفعال الإنجازية الثلاثة مجتمعة فعلاً إنجازيا مركباً أفاد نهي المخاطب عن طلب النصيحة من الغاش، واتهام الناصح الأمين بالغش، وهو المعنى المحوري الذي دار حوله الفعل المركب. إنَّ وجود قضية يتكلم عنها الفعل دليل تحقق الشرط القضوي لهذا الفعل، أمَّا باقي الشروط وهي شرط الإخلاص والشرط الأساسي والشرط التمهيدي فلا يمكننا الجزم بتحققها لعدم معرفتنا بشخصية المتكلم، لكن معرفتنا بانه حكيم قد تبررلنا القول بتحقق هذه الشروط، فلا يُعقل أن يكون الحكيم غير قاصد لما يقول، أو غير مخلص فيه، أو أنَّ قوله لا يطابق فعله، وهذا الأمر ينسحب على جميع الأفعال المماثلة التي تمَّ تحليلها في هذا البحث.

من كلام لـ ((حكيم يوصي ملكا: تجرَّع من عدوّك الغُصةَ، إلى أن تجد الفرصةَ، فإذا وجدتَها فانتهزها قبلَ أَنْ يفوتَك الدَّرَكُ، أو يُعينُهُ الفَلَكُ، فإنَّ الدنيا دُوَلٌ، تُقَلِّبُها الأقدارُ ويَهْدِمُها الليلُ والنهارُ))[١٠].

تركب هذا الجزء من الوصية من ثلاثة ملفوظات انقسمت بين إنشائية وأخرى تصويرية، أفصح كلٌّ منها عن فعل إنجازي مباشر، جمعت بينها العلية، استهلت بفعل توجيهي (**تجرَّع من عدوّك الغصة، إلى أن تجد الفرصة**) أمر فيه المخاطَب بتجرُّع أذى العدو إلى أن يجد الفرصة في التخلُّص منه، مستعمِلاً فعل الأمر (تجرَّع)، ثم أكمل كلامه بفعل توجيهي آخر (**فإذا وجدتها فانتهزها قبل أن يفوتك الدَّرَكُ، أو يعينه الفَلَكُ**) يأمر فيه المخاطَب بانتهاز الفرصة إن هو أدركها قبل أن يفوته إدراكها، أو يعين عدوَّه القدر، وما حمله هذان الفعلان من معنى مثَّل المعنى المحوري الذي يكشف عن الغاية الرئيسة في الخطاب المتمثل بالفعل المركب، وهو الصبر على أذى العدو لحين مؤاتاة الفرصة المناسبة واستغلالها لردعه والتخلُّص منه، في حين حمل الفعل الثالث، وهو فعل تقريري معنى مسانداً لما جاء في الفعلين المقدمَين، فإخبار المتلقي بحقيقة أنَّ الدنيا لا تدوم على حال، تقلبها الأقدار، ويهدمها الليل والنهار ما هو إلا ترسيخ وتثبيت للفكرة التي قدَّمها الفعلان السابقان في ذهن الموصَى وحمله على تطبيقها، وتبيين علَّة الأمر الوارد في كلٍّ من الفعلين السابقين.

ولو التفتنا إلى بنية الفعل المركب هذا وجدناها تبدأ بفعلين توجيهيين تماشيا مع طبيعة الهدف التوجيهي الإرشادي للوصية، متبوعين بفعل تقريري تمت الإشارة إلى دوره والغاية منه ما يجعلنا نستشفُّ من هذا الترتيب أنَّ تقديم التوجيه على التقرير نابع من تركيز الموصي على أهمية هذا الأمر؛ لخطورته، وعظيم أثره، وحرصه على إلفات ذهن المتلقي إليه ما يكسب القوة الإنجازية في الفعلين الأول والثاني قدرة كبرى على التأثير في المتلقي ومن ثمَّ زيادة في القوة الإنجازية فيهما.

من وصية حكيم لملكٍ، قال: ((لا تصطنعْ مَنْ خانَهُ الأصلُ، ولا تستنصحْ مَنْ فاتَهُ العقلُ، لأنَّ مَنْ لا أَصلَ لَهُ يغُشُّ مِنْ حيثُ ينصحُ، وَمَنْ لا عقلَ لَهُ يُفسدُ مِنْ حيثُ يُصلِحُ، وذلك مِمَّا يَعزُّ توقّيه، ويفوتُ تداركُهُ وتلافيه))[١١].

استُهِلَّت ملفوظات هذا الفعل المركب بملفوظين طلبيين (**لا تصطنع من خانه الأصل، ولا تستنصح من فاته العقل**) حمل كلٌّ منهما فعلاً إنجازياً مباشراً أفاد أولهما نهي المخاطب عن تقريب من لا يُعرَف بطيب الأصل، و نهاه الثاني عن طلب النصيحة ممن لا يُعرَف بقوة العقل ورجاحته، مُستعمِلاً في كلا الفعلين لا الناهية.

أمَّا اتجاه المطابقة في هذين الفعلين فهي من العالم إلى الكلمات. تبع هذين الفعلين ملفوظان تصويريان (**لأنَّ من لا أصل له يغُشُّ من حيثُ ينصح، ومن لا عقل له يفسد من حيث يصلح**) حمل كلٌّ منهما فعلاً إنجازياً تقريرياً مباشراً بيَّن الموصي فيهما سبب النهي المقدم عليهما، فمن لا اصل له يغش في نصيحته منساقا بما يمليه عليه أصله، ومن لا عقل له لا يرجى الخير من نصيحته لعدم معرفته وسوء تدبيره، أمَّا الملفوظان الأخيران (**وذلك مما يعزُّ توقيه، ويفوت تداركه وتلافيه**) فقد حملت الصياغة التصويرية لكل منهما فعلاً إنجازياً تقريرياً مباشراً، اراد الموصي فيهما بيان خطر ما نهى عنه، فقد بيَّن أولهما أنَّ ما يُجْنى من استنصاح وتقريب هذين الصنفين يصعب توقّي عواقبه، وقد استعمل الموصي اسم الإشارة ذلك، لبيان عظيم أثر ما نهى عنه، وبيَّن ثانيهما عدم المقدرة على تدارك هذا الامر وتلافيه، واتَّجاه المطابقة فيما تقدَّم من أفعال تقريرية.

أنتجت الأفعال الإنجازية المذكورة مجتمعة فعلاً إنجازياً توجيهياً مركباً أفاد نهي المخاطَب عن تقريب واستنصاح من لا ينحدر من أصل كريم، ومن لا يتصف بكمال العقل ورجاحته، وهذا المعنى يُستفاد من النهي عن اصطناع من لاأصل له، واستنصاح من لا عقل له في الفعلين الأول والثاني، وقد مثَّل هذان الفعلان دوراً رئيساً في الفعل المركب،

أمَّا باقي الأفعال فقد انحصر دورها بتعضيد معنى النهي فيهما وتقويته وتأكيده، فما بيان سبب النهي في الفعلين الثالث والرابع، وتعظيم خطره في الفعلين الخامس والسادس إلا تأكيداً للمعنى المراد وتقوية له.

فعل الكلام المركب من أفعال غير مباشرة:

يختص هذا المبحث بتحليل أفعال كلام مركبة مكونة من أفعال كلام غير مباشرة وصولاً لما تحمله هذه الأفعال من معانٍ تضمَّنتها صياغاتها المباشرة.

من كلام لـ ((أكثم بن صيفي يوصي ملك هجر او نجران، وقد كتب إليه يطلب ذلك: إنَّ أحمقَ الحُمقِ الفجورُ، وأَمثلَ الأشياءِ تركُ الفُضُولِ، وقِلَّةُ السَّقْطِ لُزُومُ الصوابِ، وخيرُ الأمورِ مَغبَّةُ أَلَّا تَنِيَ في استصلاحِ المالِ))(١٢).

لو أمعنا النظر في الملفوظات التصويرية الأربعة المكونة لهذا الجزء من الوصية وجدناها تخبر المتلقي بمعانٍ لا تتلاءم وطبيعة السياق الخارجي الذي وردت فيه، فالملك يطلب الوعظ والنصيحة، وهو ما لم يتحقق في المعاني الظاهرية لهذه الملفوظات، ويقودنا هذا الأمر إلى تأويل هذه الملفوظات بملاحظة السياق الذي وردت فيه لإيجاد معاني مناسبة للمقام، فقول الموصي: (**إنَّ أحمق الحمق الفجور**) ما هو إلا فعل توجيهي مباشر، فيه نهي عن فعل الفجور وذمٌّ وتوبيخ لأهله بدلالة نعت هذا الفعل بأحمق الحمق، ما يزيد في قدرة الفعل على التأثير في المتلقي وزيادة في القوة الإنجازية للفعل وبالأخص عندالأخذ بنظر الاعتبار التوكيد بـ (إنَّ) الذي تصدَّر الفعل الإنجازي.

وأمَّا قوله: (**وأمثل الأشياء ترك الفضول**) ففيه حثٌّ على ترك غير المهم من الأمور وعدم الإنشغال بها، فلا يخفى ما فيه من تضييع للجهد والوقت وتشتيت للجهد وصرفه عن تحقيق ما هو مهم وضروري، وقد تضمن قوله: (**وقلة السقط لزوم الصواب**) حثاً على ملازمة الصواب والسعي الحثيث لتحريه ففيه عصمة للمرء من الوقوع في الزلل، أمَّا قوله: (**وخير الأمور مغبة ألَّا تني في استصلاح المال**) ففيه حثٌّ للمتلقي على عدم التهاون في استصلاح المال.

وقد حمل كل فعل من هذه الأفعال معنى قضويا دار حوله موضوع الفعل، وهي الفجور هو أكثر الأفعال حماقة، وأفضل الأشياء ترك المرء ما لا يعنيه وما لا يعود عليه بنفع حقيقي، وملازمة الصواب تقلل سقطات المرء، وخير ما يفعله هو عدم توانيه في استصلاح ماله.

وقد تركبت هذه الأفعال لتكون فعلاً إنجازيا توجيهياً مركبا، مفاده حثُّ المخاطَب على أن تكون فعاله فيما ينأى به عن السقوط الأخلاقي أو المادي، وهذا المعنى يُستشَفُّ من نهي المتلقي عن الفجور، وحثَّه على ترك ما لا يعنيه وما لا ينفعه، وحثه على لزوم الصدق، وعلى عدم التواني في إصلاح المال. وشروط نجاح الفعل متحققة جميعها مروراً بالفعل القضوي المتمثل بوجود قضية لكل فعل مما سبق، أمَّا شرط الإخلاص والشرط التمهيدي والشرط الأساسي فجميعها متحققة إذا ما أُخذ بنظر الاعتبار شخصية الموصي، فهو الحكيم العالم المقدَّم في قومه.

من وصية حكيم لملك، قال: ((أيُّ ملكٍ أَحْسنَ إلى كُفاتِهِ وأعوانِهِ، استظهرَ لِمُلْكِهِ وسلطانِهِ، وأيُّ مَلكٍ عَدَلَ في حُكمْهُ وقضيَّتِهِ، استغنى عن جُنْدشهِ ورعيَّتِهِ، وأيُّ مَلِكٍ نَفضدَ في مُلكِهِ حُكمُ النساءِ، نَفذَ في دَولتِهِ حُكْم الأعداءِ، وأيُّ مَلِكٍ مَلَكَتْهُ حاشيتُهُ وأصحابُهُ، اضطربت عليه أمورُهُ وأسبابُهُ، وأيُّ مَلِكٍ عَميَ عن سياسةِ دارِهِ ودانيتِهِ، عَميَ عن سياسةِ أقطارِهِ وقاصيتِهِ، وأيُّ مَلِكٍ خَفَّتْ وطأتُه على أهلِ الفسادِ، ثَقُلَتْ عليهِ وطأَةُ الأعداءِ والأَضدادِ))(١٣).

حملت الصياغات التصويرية لملفوظات هذا الجزء من الوصية أفعالاً إنجازية توجيهية غير مباشرة، لمغايرة دلالة ألفاظها لما أنجزته من معانٍ، قادنا السياق الخارجي المتمثل بتوجيه النصح من حكيم إلى ملك لفهمها وتحديد معانيها، فقصد الإخبار في هذه الأفعال لا يتلاءم وطبيعة السياق الذي وردت فيه؛ لذا اقتضى فهمها على انها حثٌّ للملك من الحكيم، والحثُّ هنا أليق للمعنى كون الوصية صادرة من أدنى رتبة وهو الحكيم على اعلى رتبة وهو الملك، فقول الموصي: (**أيُّ ملك أحسن إلى كُفاته وأعوانه، استظهر لملكه وسلطانه**) يتضمن حثَّ الملك على الإحسان إلى الكفات

والأعوان لما في ذلك من تقوية ودعم لملكه وسلطانه. أمَّا قوله: (**وأيُّ ملك عدل في حكمه وقضيته، استغنى عن جنده ورعيته**) ففيه حثٌّ للموصَى على أن يكون عادلاً في حكمه وتعامله مع رعيته فالعدل مع الرعية أمان من شرهم وغضبهم، وقوله: (**وأيُّ ملك نفذ في ملكه حكم النساء، نفذ في دولته حكم الأعداء**) ففيه تحذير او نهي للملك عن إشراك النساء أو سماع رأيهن في شؤون الحكم ففي ذلك زوال حكم ملكه وضياعه عادّاً تدخُّل النساء في أمور الحكم كتدخل الأعداء فيه فضرر الأعداء لرغبة في الإضرار وضرر النساء لجهلهن بتدبير الأمور، وقوله: (**وأيُّ ملك ملكته حاشيته وأصحابه، اضطربت عليه أموره وأسبابه**) يحمل معنى التحذير من الانصياع إلى الحاشية والانجرار لرغباتهم وأهوائهم، فلطالما كان فيهم الحاقد والحاسد والمغرض وجميعهم يسعى لخراب البلاد وحكمها، وتضمَّن قوله: (**وأيُّ ملك عمي عن سياسة داره ودانيته، عمي عن سياسة أقطاره وقاصيته**) تحذيراً للملك من عدم سيطرته وإحكام قبضته على إدارة شؤون أهله وخاصَّته، فمن لم يقدر على حكم الاقربين عجز عن حكم دولة مترامية الاطراف كثيرة الخصوم، وأمَّا قوله: (**وأيُّ ملك خفَّت وطأتُه على أهل الفساد، ثقلت عليه وطأة الأعداء والأضداد**) فقد اخفى تحذيراً من مداهنة أهل الفساد ومحاباتهم وعدم محاسبتهم بشدَّة ففي ذلك ظلم للرعية وإكثار للاعداء والأضداد مما يعود على الحكم بالاضطراب والخراب.

أمَّا الأفعال القضوية لما تقدَّم من أفعال إنجازية، فهي إحسان الملك إلى أعوانه وأنصاره، قوة ومنعة لحكمه وسلطانه، والعدل في الحكم أمان للحاكم يغنيه عن جيشه ورعيته، ونفاد حكم النساء يفسد الملك كما يفسده نفاد حكم الأعداء، ملك الحاشية للملك وتأثيرها في قراراته يفسد شؤون الحكم ويقودها غلى الاضطراب، ما من ملك يعجز عن حكم وضبط اهل بيته وخاصته إلا عجز عن حكم مملكته، الملك الذي يماري أهل والفساد ولا يجدُّ في محاسبتهم كثر أعداؤه واضداده.

أنجزت الأفعال الإنجازية المتقدمة فعلاً إنجازياً مركبا أفاد حثَّ الملك على إدارة شؤون حكمه ورعيته بحكمة وحنكة يدوم بهما سلطانه ويعلو بهما شانه، وهذا المعنى متأتٍ من تكرارالموصي حثَّه للملك على ما يديم ملكه وينأى به عن كل شرٍّ، مثل الإحسان إلى الكفات والأعوان، والعدل في الحكم، وتحذيره اونهيه عن كل ما من شأنهه أن يضرَّ بحكمه ويؤدي به إلى الزوال، مثل إشراك النساء في شؤون الحكم، وملك الحاشية للملك، وعجزه عن ضبط أهل بيته ومقربيه، وعدم محاسبة أهل الفساد.

فعل الكلام المركب من أفعال مباشرة وغير مباشرة:

ضمَّ هذا المبحث هذا المبحث أفعال كلام مركبة أسهم في تكوينها أفعال مباشرة وأخرى غير مباشرة

من وصية لـ ((الحسن بن أبي الحسن البصري يوصي الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد طلب منه ذلك: والإمامُ العادلُ يا أميرَ المؤمنينَ كالرَّاعي الشَّفيقِ على إبِلِهِ، والحازِمُ الرَّفيقُ الذي يرتادُ لها أطيَبَ المراعي، ويذودُها عن مراتِعِ الهَلَكةِ، ويَحميها مِنَ السِّباعِ، ويَكْنَفُها مِنْ أذى الحرِّ والقرِّ))[١٤].

ضمَّ هذا المقطع من الوصية ملفوظات أفادت أغلب صياغاتها التصويرية معاني طلبية تُفْهَمُ من طبيعة السياق الخارجي الذي وردت فيه ممثلاً بوصية الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز إثر طلب الأخير النصيحة منه فقوله: **(والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله)** يحثَّ فيه المتلقي أن يكون شفيقاً برعيته عطوفاً عليهم، وحثه في قوله: (**والحازم الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المراعي**) على أن يسعى في رضا الرعية، ويعمل على اختيار الأفضل لهم في جميع أمورهم، في حين حثه في قوله: (**ويذودها عن مراتع الهلكة**) على ذودهم عن موارد الفتنة والإنحراف وكل ما من شأنه يعود عليهم بالضرر والهلاك، وحثه في قوله:(**ويحميها من السباع**) على الدفاع عنهم وحمايتم من خطر

الأعداء والطامعين، وقوله:(**ويكنفها من أذى الحرّ والقرّ**) فيه حثٌّ للمخاطَب على مراعاة الرعية ومداراتهم ومنع الأذى عنهم.

وقد انفرد ملفوظ واحد فقط بحمله دلالة مطابقة بين لفظه ومعناه، وهو قوله: (**يا أمير المؤمنين**) وهوفعل تقريري مباشر استعمل فيه النداء بالحرف (يا) لنداء الخليفة والمقصود هنا إظهار التعظيم والاحترام للمنادى. أمَّا الأفعال القضوية لهذه الأفعال، فهي

تتركب من مجموع الأفعال الإنجازية المتقدمة فعل إنجازي توجيهي مفاده حثُّ الخليفة على مراعاة الرعية وإدارة أمورهم بما يكفل لهم حياة حرة كريمة تصان فيها مصالحهم وتصان فيها نفوسهم وأموالهم، وتكرار حثُّ الموصي هذه المعاني خير دليل على ما ذهبنا إليه من معنى.

من وصية حكيم لأحد الملوك، قال: ((إعلمْ أنَّ السِّعايةَ نارٌ، وقَبولُها والعملُ بِها دَنَاءَةٌ، والثِّقةُ بأَهلِها غَباوَةٌ، لأنَّ الذي يحملُ السَّاعيَ على سِعايتِهِ قِلَّةُ وَرَعٍ، أَوشِدَّةُ طَمَعٍ، أو لُؤمُ طَبْعٍ، أو طَلَبُ نَفْعٍ، فَأَعْرِضْ عن السُّعاةِ، وعُدَّهم مِن العُداةِ، لأنَّهم يُفسدونَ دِينَكَ، ويُزيلونَ يَقينكَ، ويَنقضونَ عَهدكَ ونِيَّتكَ، ويُحْنِقونَ خَدَمَكَ ورعيَّتكَ، ويَحْمِلونَكَ على اكتِسابِ الآثامِ، ويُعرّضونَكَ لاجْتِلابِ المَلامِ))(١٥).

اجتمعت في هذا الجزء من الوصية ملفوظات تصويرية عدة، إذا جمعنا بين دلالاتها اللفظية والسياق الذي وردت فيه وجدناها تحمل أفعالاً إنجازية توجيهية غير مباشرة، فالمعاني الظاهرية لهذه الملفوظات تكون خاطئة إذا ما رُوعيَ السياق الخارجي الذي تضمنها، وهو توصية الحكيم للملك بغية وعظه والوعظ لا يتحقق بما تحمله هذه الملفوظات إذا قصد فيها الإخبار فقط، فقوله: (**أنَّ السعاية نار**) يتضمن نهياً أوتحذيراً للمخاطَب مما تلحقه السعاية من ضرر بسامعها، وقد مثل وصف السعاية بالنار استعارة أكسبت المعنى قوة أكبروتأثيراً أعمق ما زاد في القوة الإنجازية للفعل، وتضمن قوله: (**وقبولها والعمل بها دناءة**) نهياً عن قبول السعاية والعمل بها لأنها فعل يوصف بالدناءة، أمَّا قوله: (**والثقة بأهلها غباوة**) ففيه نهي واضح عن الثقة بأهل السعاية لما يحمل هؤلاء الناس من مشاعر بغض وقلة شرف تؤهلهم للإضرار بمن حولهم، ووصف من يثق بهذا الصنف من الناس بالغباء يزيد من قوة تأثير الفعل في المتلقي لانه توبيخ وانتقاصٌ من قدر من يأتي بهذا الفعل ما أكسب القوة الإنجازية للفعل قوة كبرى.

بعد أن ضَمَّن الموصي كلامه المعنى المحوري الذي أراد إيصاله للمتلقي متمثلاً بما تقدَّم تحذير ونهي للمخاطَب، شرع في بيان سبب ما قدَّم من معانٍ لتثبيتها وتقوية اعتقاد المخاطَب بها بفعل إنجازي تقريري (**لأنَّ الذي يحمل الساعي على سعايته قلَّة ورع، اوشدَّة طمع، أو لؤم طبع، أو طلب نفع**)، فما يحمل الساعي على فعلته، هو قلَّة ورعه، أو شدَّة طمعه، أو لؤم طبعه، أو طلبه النفع

أمَّا الفعل الإنجازي المركب من الأفعال المقدَّمة، فهو تحذير المخاطَب من خطر السعاية، والاستماع إلى السعاة، والثقة بهم، وهذا ما أكَّده الموصي عبر تحذيره من السعاية والسعاة بقوله: (إنَّ السعاية نار)، ونهيه عن قبولها والعمل بها ووصفهما بالدناءة في قوله: (**وقبولها والعمل بها دناءة**) وعن الثقة بأهلها ووصفها بالغباء في قوله: (**والثقة بأهلها غباوة**).

من كلام لحكيمٍ يعظ أحد الملوك وقد سأله ذلك: ((إنَّ الدَّهرَ قد نَبَّهَكَ مِنْ رَقدتِكَ، وأظهرَ لَكَ ما كانَ اسْتَتَرَ عَنْكَ، فلا حَيْنَ أَحْيَنُ مِنْ سَلامةٍ مَعَ تَضييعٍ، وَلا عَدوَّ أَقْتَلُ مِنْ أَمْنِ الاغْتِرارِولا تَخَاذُلَ أَخْذَلُ مشنْ رَأيٍ تُنْتِجُهُ قُدْرَةٌ))(١٦).

أدَّت الملفوظات التصويرية في هذا الجزء من الوصية نوعين من الأفعال الإنجازية، صُدِّرت بفعلين تقريرين مباشرين، تجاه المطابقة في كلٍّ منهما من الكلمات إلى العالم، وهما (**إنَّ الدهر قد نبهك من رقدتك، وأظهر لك ما كان استترعنك**) أديا دوراً تمهيديا بإُخبار المتلقي بتنبيه الدهر له بعد أن كان غافلاً، وإظهار الدهر له ما استترعنه؛ لإشعاره

بما اكسبه الدهر من خبرة وحكمة هي نتاج تجارب خاضها بنفسه، وتهيأته لاستقبال المعنى الجوهري في الخطاب الموجه إليه متمثلاً بما تلاهما من أفعال إنجازية توجيهية غير مباشرة، (**فلا حَينَ أحين من سلامة مع تضييع، ولا عدوَّ أقتل من أمن الاغترار، ولا تخاذل أخذل من رأي تنتجه قدرة**) فقد خالفت القوة الإنجازية فيها دلالة ألفاظها، وقد حذَّر أولها المتلقي من الأغترار بالسلامة وتضييع نفسه بعدم تدبير أموره وتهيأته للاستعداد للمستقبل، وحذَّره الثاني من الانجرار وراء الاغترار بما حبته الدنيا من ملك ونعيم سرعان ما يزولان عنه فالاغترار يضيّع على صاحبه إدراك الأمور على حقيقتها، في حين حذَّره الثالث من الاغترار بقدرته واتخاذ قراراتٍ الدافع لها القدرة لا الحكمة لأنَّ نتيجة هذه القرارات الخذلان والخسران، وقد استعمل الموصي في الأفعال الثلاثة النفي بـ (لا النافية للجنس) لدلالتها على النفي القاطع[١٧]؛ ليثبت في نفس المتلقي حقيقة ما أراد إبلاغه إيَّاه دون ان يترك له مجالاً للتفكير في المعاني التي حُذِّر منها.

أمَّا المعاني القضوية فيما تقدَّم من أفعال، فهي تنبيه الدهر للمخاطَب من رقدته، وإظهاره له ما استتر عنه، أعجل هلاكهُ في السلامة مع تضييع التدبير والاستعداد للمستقبل، وإنَّ أشدُّ الأعداء فتكاً اغترار المرء نبفسه، والرأي النابع من قدرة من دون حكمة يخذل صاحبه.

لو التفتنا لما بين أيدينا من أفعال إنجازية وجدناها تتناغم وتتفاعل فيما بينها مكونة هدفاً توجيهياً منشوداً واحداً، أراد الموصي إيصاله إلى المتلقي، وهو تحذيره من الانسياق خلف أهوائه وما تزيّنه له هيبة الملك وعظمته من سلطة وقدرة واغترار بالنفس تباعد بينه وبين الحكمة والرشد والصواب، ما يعجِّل في هلاكه وزوال ملكه، ويقودنا لهذا الفهم الإخبار المؤكَّد بـ(إنَّ) لإحضار ذهن المتلقي وجلب اهتمامه في الفعلين الأول والثاني ما انتج قوة إنجازية كبرى، والتحذير المتكرر في الأفعال الثلاثة المتبقية، فالسلامة مع التضييع، والاغترار بالنفس والملك، واتخاذ القرارات باعتماد القدرة بعيداً عن الحكمة من شأنها أن تهلك المرء وتزيل الملك.

الخاتمة:

لابد لنا في هذا المقام من الوقوف على أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث، وهي:

١- يتكون الفعل الإنجازي المركب بكامله من أفعال إنجازية مباشرة بالكامل، أو غير مباشرة، أو من كليهما معا.

٢- أضفى الفعل المركب قدرة أكبر على التعبير عن المعاني الكامنة في خلد المتكلم، وفرصة أوفر للتأويل عند المتلقي؛ ما جعل العملية التواصلية أكثر فاعلية وتاثيرا.

٣- وقد كان لعنصري المقام والسياق دورا فاعلا في إيصال مقاصد المتكلمين وفهمها وقد ركزت أغلب الوصايا على هذين العنصرين في إيصال المعاني لما اقتضته ظروف الخطاب كالتأدب، أو زيادة في القوة التأثيرية للكلام.

٤- إنَّ طبيعة النصح والإرشاد التي تفرضها طبيعة الخطاب في النصوص المدروسة جعلت أغلب الأفعال تتصف بانها أفعال توجيهية.

٥- تتصف القوى الإنجازية في أفعال الكلام بالتفاوت تبعا لما تمليه عليها أهمية الأمر المراد إيصاله وخطورته، مضافا إلى ذلك طبيعة المتلقي وقابليته على تلقي الخطاب الموجه إليه.

الهوامش:

١- العقل اللغة و والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ٧٢.

٢- العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ٢١٧.

٣- المصدر نفسه، ٢١٨.

٤- العقل واللغة والمجتمع، ٢١٨.
٥- المصدر نفسه، ٢١٩.
٦- المصدر نفسه، ٢١٩.
٧- العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ١٧٢.
٨- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ٢٤٠.
٩- جمهرة وصايا العرب، د. محمد نايف الدليمي، ٣، ٢٧٩.
١٠- جمهرة وصايا العرب، ٣، ٢٨٢.
١١- المصدر نفسه، ٣، ٢٨١.
١٢- جمهرة وصايا العرب، ١، ١١٣.
١٣- المصدر نفسه، ٣، ٢٨٣.
١٤- جمهرة وصايا العرب، د. محمد نايف الدليمي، ٢، ٣٤١.
١٥- المصدر نفسه، ٣، ٢٨٢.
١٦- المصدر نفسه، ٣، ٢٨٥.
١٧- ينظر الإيضاح في شرح المفصل، ابو عمرو بن عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي، تحقيق د. موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية – العراق، ٢، ٢١٦.

قائمة المصادر:

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٢.

- أفعال الكلام في نهج البلاغة للإمام علي رضي الله عنه دراسة تداولية، رسالة ماجستير، أحلام صولح، إشراف د. عز الدين صحراوي، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م.

- الإيضاح في شرح المفصل، ابو عمرو بن عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي، تحقيق د. موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية – العراق.

- التحليل اللغوي عند مرسة أكسفورد، د. صلاح اسماعيل عبد الحق، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

- التداولية عند العلماء العرب،

- جمهرة وصايا العرب، د. محمد نايف الدليمي، ط١، دار النضال بيروت – لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١.

- العقل اللغة و والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل،ترجمة سعيد الغانمي، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٦.

- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤.

- نظرية الأفعال الكلامية، كيف ننجز الأفعال بالكلمات، أوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق.

- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق.